مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
Jazan University Journal of Human Sciences (JUJHS)

الأَفعالُ الكَلامِـيَّـةُ في ديوانِ "التَّضاريس" لمحمَّد الثُّبَيتِيّ: مقاربة تداوليّة

خالد قاسم الجريان
قسم الدراسات الإسلامية والعربية، كلية الدراسات العامة، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، المملكة العربية السعودية

Speech Acts in The Anthology of "Al-Tadarris" By the Poet Muhammad Al-Thubaiti: "Pragmatic Approach"

Khalid Qassim Al Jurayan
Department of Islamic and Arabic Studies, College of General Studies, King Fahd University of Petroleum and Minerals, Kingdom of Saudi Arabia

DOI	RECEIVED الاستلام	Edit التعديل	ACCEPTED القبول
https://doi.org/10.63908/1knygk69	2025/02/10	2025/06/02	2025/06/22

NO. OF PAGES عدد الصفحات	YEAR سنة العدد	VOLUME رقم المجلد	ISSUE رقم العدد
26	2025	1	14

الملخص:

يسعى الباحث من خلال هذا البحث إلى الوقوف على أثر الأفعال الكلامية في الإقناع، والإنجاز، والتحقق، والتأثير على المتلقي دراسة مقاربة في ديوان التضاريس للشاعر محمد الثبيتي الذي يعد أحد أهم شعراء الحداثة في المملكة العربية السعودية، وديوانه هذا واحد من أهم دواوينه الشعرية، فقد امتاز بأشكال متعددة للأفعال الكلامية حيث الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات أو الوعديات والتعبيريات والإعلانيات، ومدى أثرها الدلالي والتأثيري في بنية النص، التي أسهمت بشكل مباشر في التأسيس الجمالي للقصيدة الشعريَّة، ولما يمثله من حضور شعري لافت في الشعرية العربية عامة والسعودية خاصة، ويرتكز البحث على تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمها: الكشف عن اختبار المقاربة التداولية للنص الشعري عند الثبيتي وأثرها الدلالي والجمالي، كما يهدف البحث إلى التحليل التطبيقي لديوان "تضاريس" وفق مقتضيات الدراسة التداولية، ضمن تداولية الدرجة الثالثة، وهي نظرية الأفعال الكلامية وأدواتها التحليلية، ويعتمد الباحث على منهج المقاربة التداولية وإجراءاتها العلمية للوصول إلى تلك النتائج، ويوصي البحث بالكشف عن دور الفعل الكلامي في عملية التأثير والإقناع في النص الشعري، وأنَّ المنهج التداولي أبرز المناهج المساعدة على تحقيق التواصل بالمتلقي من خلال القصد والسياق.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، محمد الثبيتي، تضاريس، التداولية، التأثير، الإقناع.

Abstract:

Through this research, the researcher seeks to determine the impact of verbal acts on persuasion, achievement, verification, and influence on the recipient. A comparative study in the collection of terrain by the poet Muhammad Al-Thubaiti, as he is one of the most important modern poets in the Kingdom of Saudi Arabia, and this collection of his is one of the most important poetry collections. It excelled. In multiple forms of speech acts, such as information, directives, promises (commitments), expressions (revelations), and announcements, and the extent of their semantic and influential impact on the structure of the text, which directly contributed to the aesthetic foundation of the poetic poem.Because of the remarkable poetic presence in Arabic poetry in general and Saudi Arabia in particular, and the research is based on a set of objectives, the most important of which is to reveal the test of the pragmatic approach to the poetic text when Muhammad Al-Thubaiti and its aesthetic and semantic impact, and the research also aims at the applied analysis of the Diwan of terrain of the poet Muhammad Al-Thubaiti according to the requirements of the pragmatic study, within the pragmatic third degree, which is the theory of verbal acts and its analytical tools.

The researcher relies on the deliberative approach and its scientific procedures to reach the most important results, including: revealing the role of verbal action in the process of influence and persuasion in the poetic text, that the deliberative approach highlighted the methods to help achieve communication with the recipient through intention and context, and that poetic language is one of the means of influencing the recipient until he reaches persuasion.

Keywords: Speech Acts, Muhammad Al-Thubaiti, Topography, Deliberative, Influence, Persuasion.

المقدمة:

بدأت الحداثة منذ فجر ثمانينات القرن الفائت، وتشكلت رؤاها الفنية والجمالية من خلال الحضور التجريبي في قصيدته الشعرية الحداثية، مواكبًا تطور القصيدة في الأقطار العربية كافة، حيث يمثل الشعر العربي الحديث حقلاً خصبًا للدراسات اللغوية والأسلوبية، لما يتميز به من ثراء في اللغة، وتنوع في الأساليب، وقدرة على تجسيد رؤى ومواقف إنسانية وفكرية معقدة. ويُعد الشاعر السعودي محمد الثبيتي (١٩٥٢-٢٠١١) واحدًا من أبرز الأصوات الشعرية في المشهد الثقافي العربي المعاصر، حيث استطاع من خلال تجربته الشعرية الممتدة أن يقدم نصوصًا ذات كثافة لغوية وعمق دلالي، تعكس هموم الإنسان العربي وتطلعاته في سياق تحولات اجتماعية وثقافية كبرى.

ويأتي ديوان "تضاريس"- وهو من أبرز أعمال الشاعر الثبيتي- نموذجًا لهذه التجربة الشعرية الثرية الذي كتبت قصائده بين عامي (١٩٤٨-١٩٦٨م). يتميز الديوان بلغة شعرية مكثفة، وصور مبتكرة، وبناء فني يعكس رؤية الشاعر للعالم والإنسان، وقد حاز هذا الديوان على جائزة نادي جدة الثقافي عام ١٩٩١م، وطبع ديوان التضاريس مرتين، الأولى بنادي جدة الثقافي عام ١٩٨٧م، والثانية ضمن الأعمال الكاملة للشاعر محمد الثبيتي بنادي حائل الأدبي ومؤسسة الانتشار العربي ببيروت عام ٢٠٠٩م، وفي هذا السياق، تبرز أهمية دراسة هذا الديوان من منظور تداولي، ومن خلال مقاربة الأفعال الكلامية (Speech Acts Theory) التي أرسى دعائمها جون أوستن وطورها جون سيرل.

حاول الشاعر من خلال ديوانه هذا صياغة عالم مشتبك مع الذات الثائرة الشاعرة التي تتوارى خلف مجازات القصيدة ورمزية الألفاظ، كما اعتمد الثبيتي على أفعال كلامية ذات طبيعية دلالية إنجازية يحاول من خلالها القصد والتأثير والإقناع، والدخول في معنى المعنى المحايث للنص الشعري، التي تقوم عليه دراستنا هذه.

تمثل الأفعال الكلامية حضورًا واسعًا في النص الشعري حيث يرى رومان جاكبسون أنَّ للدراسة اللسانية الشعرية أهمية مزدوجة، إذ يمكن أن تكونَ مساعدة للشعرية، بالإضافة إلى انتقاده لبعض الأفكار التي تقود إلى جهل باللسانيات المعاصرة وأهدافها، حيث تقود بعض النقاد إلى السقوط في هفوات خطيرة؛ لأنهم يحصرون اللسانيات في الحدود الضيقة للجملة، التي لا يمكن بالتالي أنْ تعتني ببناء القصيدة، وهذا ما جاءت لتبطله دراسة الأقوال ذات الجمل المتعددة. وتحليل الخطاب، وهما المجالان اللذان يتصدران اليوم علم اللغة[١].

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على جانب من جوانب الإبداع اللغوي في شعر محمد الثبيتي؛ لما يمثله من حضور شعري لافت في الشعرية العربية عامة والسعودية خاصة، من خلال تطبيق أداة تحليلية حديثة هي نظرية الأفعال الكلامية. كما أنه يسهم في إثراء الدراسات التداولية في الحقل الأدبي العربي، ويوضح كيف يمكن للمناهج اللغوية الحديثة أن تكشف عن طبقات جديدة من المعنى الدلالي والجمالي في النصوص الشعرية، وأثر الأفعال الكلامية في الإقناع، والقصد، والإنجاز، والتحقق، بل والتأثير على المتلقي.

(١) بتصرف: جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ص٧٧-٧٨.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في اختبار المقاربة التداولية، للكشف عن أثر الأفعال الكلامية في توجيه الدلالة الفنية في النص الشعري عند محمد الثبيتي، وإشكالية الأفعال الكلامية التي تسهم بشكل مباشر وغير مباشر في التأسيس الجمالي والدلالي في بنية النص الشعري.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أنواع الأفعال الكلامية المهيمنة في ديوان "تضاريس"، وتحليل وظائفها المباشرة وغير المباشرة (الاستلزام الحواري) في سياقاتها النصية المختلفة، الأمر الذي يفتح آفاقًا جديدة لتأويل النص الشعري، والكشف عن أبعاده التداولية العميقة.

ويرتكز البحث على مجموعة من الأهداف، جاءت في قسمين اثنين، الأول: الهدف العام/ الرئيسي، والثاني: الأهداف الفرعية.

- **الهدف العام:**

يكمن الهدف العام في الكشف عن اختبار المقاربة التداولية للنص الشعري عند محمد الثبيتي، وأثرها الجمالي والدلالي.

- **الأهداف الفرعية:**

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- تحليل ديوان التضاريس للشاعر محمد الثبيتي وفق مقتضيات الدراسة التداولية، ضمن تداولية الدرجة الثالثة، وهي نظرية الأفعال الكلامية وأدواتها التحليلية.

٢- تجسيد رؤية الشاعر ومواقفه تجاه القضايا التي يطرحها.

٣- الكشف عن أشكال الأفعال الكلامية في النصوص الشعرية.

٤- بيان أثر الأفعال الكلامية في تشكيل البنية الدَّلالية والتأثيرية والجمالية في بنية النص الشعري.

٥- فهم كيف استخدام الشاعر اللغة كأداة للفعل والتأثير، وليس مجرد وسيلة للوصف أو التعبير.

٦- الكشف عن وظيفة الأفعال الكلامية في بناء النَّص.

عناصر البحث:

تتشكل عناصر البحث في المباحث التالية:

- المبحث الأول: التعريف بنظرية الأفعال الكلاميَّة.
- المبحث الثاني: وفيه مطلبان:

الأول: مفهوم الأفعال الكلامية عند أوستين

الثاني: مفهوم الأفعال الكلامية عند وسيرل.

- المبحث الثالث: الأفعال الكلامية دراسة تطبيقية تداولية في ديوان التضاريس، وفيه خمسة مطالب:

الأول: الإخباريات (التقريريات).

الثاني: التوجيهيات (الأمريات أو الطلبيات).

الثالث: الالتزاميات (الوعديات).

الرابع: التعبيريات (البوحيات).

الخامس: الإعلانيات (الإيقاعيات).

أسئلة البحث:

ينشغل البحث بطرح مجموعة من الأسئلة المهمة محاولاً الإجابة عنها من خلال التحليل اللساني التداولي، ومن هذه الأسئلة:

١- ما الأسس التي ارتكزت عليها نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل؟

٢- ما أثر الأفعال الكلامية من الناحيتين الدَّلالية والتأثيرية في بنية النص الشعري؟

٣- ما أشكال الأفعال الكلامية في المدونة الشعرية التي نحن بصدد مقاربتها؟

٤- ما الأغراض الإنجازية والقصـــدية لمختلف الأفعال الكلامية في ديوان التضاريس لمحمد الثبيتي؟

٥- ما صور تجسيد الفعل الكلامي في ديوان تضاريس؟

٦- كيف تســـهم الأفعال الكلامية في بناء النص لغويًّا ودلاليًّا؟

٧- ما السمات الجمالية التي تميزت بها نصوص محمد الثبيتي؟

عينة البحث:

قصـائد مختارة من ديوان التضـاريس لمحمد الثبيتي؛ لأنَّ من الصعب تحليل كلّ قصائد الديوان، فالبحث مقيد بعدد من الصـــفحات، وبعدد من الكلمات التي تلزم الباحث الاختيار؛ لذا اخترت من القصـــائد ما يتناســـب وعنوان البحث، ولو توسعت في البحث لاحتجتُ إلى وقت طويل وصفحات كثيرة.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المقاربة التداوليَّة وإجراءاتها العلمية والعملية، وذلك من خلال نظرية الأفعال الكلاميَّة وأنواعها عند سيرل، حيث حاول الباحث الإفادة من أدواتها البحثيَّة في مقاربة ديوان التضـاريس للشـاعر محمد الثبيتي؛ لأَنَّ التداوليَّة بوجه عام هي اســـتراتيجية مهمَّة في تحليل الخطاب الأدبي، لجمعها بين البنائيَّة الوصـفيَّة والسـياقيَّة والوظيفيَّـة والـدلاليَّـة، وغيرهـا من الحقول التي تلتقي مع الدرس التداولي، في الوقت الذي باتت فيه الحاجة إلى تفسـير الظواهر أكثر من وصـفها؛ لأَنَّ الوصـف وحده يعزل الأثر الأدبي عن التاريخ. والعمليَّة الإبداعيَّة واللُّغويَّة لا تتحقَّق إلَّا في ظل تواصـل فعلي يسـتوفي كل شـروط التداول.

وقد جاءت خطَّة البحث مكونة من مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسة على النحو التالي:

المبحث الأول: نظريَّة الأفعال الكلاميَّة.

المبحث الثاني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نظرية الأفعال الكلاميَّة عند أوستين.

المطلب الثاني: نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل.

المبحث الثالث: القســـم التطبيقي، وفيه دراســـة الأفعال الكلامية وفق نظرية سيرل ومنهجه في ديوان التضاريس، وأغراضـــها الإنجازيَّة والقصـــديَّة التي يمكن من خلالها مقاربة ديوان تضاريس للشاعر محمد الثبيتي وفق المقاربة التداوليَّة للأفعال الكلاميَّة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإخباريَّات (التقريريَّات).

المطلب الثاني: التوجيهيَّات (الأمريَّات أو الطلبيَّات).

المطلب الثالث: الالتزاميَّات (الوعديَّات).

المطلب الرابع: التعبيريَّات (البوحيَّات).

المطلب الخامس: الإعلانيَّات.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات اللسانية عن نظرية الأفعال الكلاميَّة بين دراســـات تنظيريَّة ودراســـات تطبيقيَّة، وهي كثيرة جدًّا، فاخترت منها ما كان مناســـبًا ومعطيات البحث، وهناك بعض الدراسات اللسانية التطبيقيَّة على ديوان التضاريس لمحمد الثبيتي لكني لم أقف على دراســـة تناولت الأفعال الكلاميَّة دراسة تطبيقيَّة على هذا الديوان، ومن الدراسات السابقة:

- طالب ســـيد الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٤م.
- هيا بنت راشد بن عبدالله الزهير، الحكم العطائية دراسة تداولية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٥م.

- أ. مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، مجلة فصلية محكمة، العدد ٣٧، الثلاثي الثالث، ٢٠١٧م.
- أ. نعيمة طهراوي، تداولية أفعال الكلام في الحديث النبوي الشريف، الصوتيات، حولية تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها، العدد ١٨، جامعة البليدة، الجزائر.
- د. عمر حسين عبد المحسن، الإنجازية في سورة النساء دراسة في هدي نظرية أفعال الكلام، مجلة مداد الأدب، العدد ٢٣، ٢٠٢١م.
- ملوك عبد القادر، دراسة عن الفعل الكلامي باعتباره مدخلاً من مداخل فلسفة الفعل، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد ١٢، شتاء ٢٠٢١م.
- أ.م.د حسين مزهر حمادي، اللسانيات القضائية دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام (دار القضاء في البصرة أنموذجًا)، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد ١٠، فبراير، ٢٠٢٢م.
- ياسر رجب عز الدين عبد الله، الأفعال الكلامية في سورة يونس دراسة لسانية تداولية، مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود، جامعة الأزهر، العدد ٣٦، مايو، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م.
- زينة حسين عوضة القحطاني، التداولية ومقاصدها في قصيدة سيدة الأقمار لغازي القصيبي، مجلة جامعة شقراء، كلية العلوم الإنسانية والإدارية، مجلد ١١، عدد١، يوليو، ٢٠٢٣م.

التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة نظرية أفعال الكلام من وجهة نظر تداولية، فبعضها نظريٌّ بحت، والآخر نظريّ تطبيقي، والتطبيقي جاء على موضوعات متنوعة تختلف عن موضوع بحثي ودراستي، فمنها ما تناول موضوعًا في أصول الفقه، ومنها ما تناول دراسة في سورة من سور القرآن الكريم، ومنها ما تناول دراسة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما تناول خطابات القضاء، ومنها ما تناول كتابًا فلسفيًّا أو صوفيًّا، وبعضها تناول قصيدة شعريَّة أو ديوانًا لشاعر من الشعراء وغيرها من الدراسات التي لا يمكن أن أحصيها في هذه الدراسة، وأقربها لدراستي دراسة الباحثة زينة حسين عوضة القحطاني التي تناولت قصيدة شعرية للشاعر غازي القصيبي، حيث قامت برصد العلاقة بين أطراف العمل الأدبي والمقاصدية التي أرادها الشاعر من خلال فهم مقاصد المتكلم، وقد سلطت الباحثة الضوء على مقاصد الأفعال الكلامية في قصيدة سيدة الأقمار في ضوء تقسيم سيرل لها، وتوصلت الباحثة إلى أنَّ القصيدة حظيت بمجموعة من آليات الاشتغال التداولي. أهمها: الأفعال الكلامية، والإشاريات، ولكن البحث اقتصر على الأفعال الكلامية في القصيدة فحسب، نظرًا لما تقتضيه طبيعة البحث. كما نلاحظ –أيضًا– أنَّ أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة هو بناء القصيدة على أسلوب الاستعطاف والحزن في سبيل إثارة المتلقي. ومحاولة ثني المحب عن قرار الفراق، حيث تدور قصيدة (سيدة الأقمار) من بدايتها حتى نهايتها على إبراز معنى الظاهر والمضمر (المقصد) حول إقناع المخاطب (المتلقي) بالعدول عن قرار الفراق، وهي نقطة الوصل التي تجمع بين الأفعال الكلامية ومقاصدها بمختلف أنواعها.

أمَّا بحثي فهو يختلف تمامًا عن منهج الباحثة، فقد جاء أولاً: ليسهم –بإذن الله – في إكمال ما تناوله الباحثون الآخرون عن هذا الديوان (تضاريس) لمحمد الثبيتي

دراسة وتطبيقًا، حيث تناولت دراستي منظور المقاربة التداولية، وإجراءاتها العلمية من خلال الأفعال الكلامية في مجموعة من قصائد الديوان، فجاءت الدراسة تتسم بالتنوع والاتساع النصوصي. ثانيًا: إنَّ نتائج البحث تختلف تمامًا عن النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة عامة، ثالثًا: اشتغلتُ بدارسة الأفعال الكلامية بشكل رئيس وتطبيقها على المدونة المختارة وليس على المقاصد.

المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلاميَّة (Theory of Speech Acts)

الهدف من التداولية هو دراسة اللغة في سياق الاستعمال، أي كيف يفهم الناس الكلام بناء على الموقف، والنيَّة، والعلاقات الاجتماعية، وليس فقط على المعنى الحرفي للكلمات أو كيف يتمكن المتكلم والسامع إلى فهم المعاني الخفية، كالإشارة، والتلميح، والسخرية، والأمر غير المباشر، والتأدب وغيرها، كما تهدف التداولية إلى البحث في الاستخدام اللغوي للمفردات الأكثر تأثيرًا وإنجازًا في المتلقي، حتى تصل إلى درجة من درجات الإقناع، ويرى فان دايك "أنَّ الاستخدام اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضًا في الوقت نفسه"(١)، فقد شهد العقد السابع من القرن العشرين تحولاً جذريًّا في الفكر اللغوي الحديث، التي تمثل في ظهور التداولية، حيث جاءت ردًّا على ما طرحته البنيويّة من إهمال للمعنى، وما جاءت به التوليديّة التحويليّة، وركزت على الكفاءة مع تشومسكي.

فالتداولية إذًا: (علمٌ جديدٌ للتواصل يدرس الظواهر اللغويّة في مجال الاستعمال، ويدمج مشاريع معرفيّة متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره)(٢)، وعليه فإنَّ التداولية (تهتم بدراسة المعنى الذي يقصده المتكلم) (٣)، أو (دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدًا اللسانيات)(٤)' وهذا يرمي إلى أَنْ تُعنى بما يقصده المتكلم والمعنى الذي يصل إلى المتلقي، فهي تطرح دراسة كيفية إيصال المعنى أكثر ممَّا يقال، أو يعبّر عنه بقوله: دراسة المعنى غير المرئي(٥)، ومن ثَمَّ فإنني أظنُّ أنَّ الفعل الكلامي –أو كما سماها بلانشيه الأعمال اللغويّة– هو مركز الدراسة التداولية(٦). وعليه تقوم النظريّة جميعها.

وقد نشأت هذه النظريّة على يد الفيلسوف اللغوي البريطاني Austin (أوستين) عام ١٩٦٢م، في كتابه "كيف ننجز الأشياء"، وطورها تلميذه الفيلسوف الأمريكي Searle (سيرل) الذي يعرّف الفعل الكلامي –بوصفه متنًا رئيسيًّا في الاتجاه التداوليّ – بأنَّه: (كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك يعدُّ نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسّل أفعالاً قوليّة؛ لتحقيق أغراض إنجازيّة، كـ (الطلب، والأمر، والوعد، والوعيد... إلخ) وغايات تأثيريَّة تخصّ ردود فعل المتلقي كـ (الرفض والقبول) يطمح أن يكونَ –الفعل– ذا تأثير في المخاطب اجتماعيًّا ومن ثمَّ إنجاز شيء ما)(٧).

يتضح من خلال مفهوم الفعل الكلامي أو الفعل القولي أو الإنجازي أنَّ الكلام ليس مجرد كلمات، بل هو فعل

(١) دايك، فان، علم النص، ص١٨.

(٢) صحراوي، مسعود، التداولية عند العرب، ص١٦، وينظر: بلاشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص١٨.

(٣) يول، جورج، التداولية، ص١٩.

(٤) موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢١.

(٥) يول، جورج، التداولية، ص٢٠.

(٦) بلاشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص٥٣.

(٧) يول، جورج، التداولية، ص٤٠، وينظر: شوادر، سامية، تداول الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي، ص٢٧٦.

يؤثر في الواقع إلى جانب الغرض التأثيري (Actes locutoires) أي: حينما نتكلم، فنحن نفعل شيئًا بالكلمات، مثل: نأمر، نعد، نعتذر، نُقْسِم، نسأل، نهنّئ، نهدد...

المبحث الثاني: أنواع الفعل الكلامي

المطلب الأول: نظرية الأفعال الكلاميَّة عند أوستين:

تنوعت الأفعال الكلامية في الحياة اللغويَّة، حيث يعتمد أوستين على تقسيم ثلاثي لهذه الأفعال، وقد ميَّز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغويَّة [١]، العمل الأول: هو العمل القولي، وهو العمل الذي يتحقَّق ما أن نتلفظ بشيء ما. أمَّا الثاني: فهو العمل المتضمن في القول، وهو العمل الذي يتحقَّق بقولنا شيء ما، مثال توضيحي لذلك: ذَاكِرْ تَنْجَحْ، الفعل القولي الذي يقصد به فعل التَّلفّظ هو النطق بالفعل: ذاكرْ، والفعل المتضمّن هو فعل الأمر: ذاكرْ. وأمَّا الفعل الثالث: فهو العمل التأثيري، وهو القيام بفعل المذاكرة، ومن ثَمَّ فإنَّ خصائص الفعل الكلامي عند أوستين تتبدَّى في أَنَّه فعلٌ دالٌّ، وأَنَّه فعلٌ تأثيريّ [٢]، و(تصنيف الأعمال المتضمنة في القول عند أوستين خمسة: الحكميَّات، والممارسيَّات، والوعديَّات، والسلوكيَّات، والتبيينيَّات)[٣] أو (أفعال الأحكام أو القرارات التشريعية، أفعال الممارسات التشريعية، أفعال الإباحة، أفعال السلوك، أفعال المعروضات الموصوفة)[٤].

المطلب الثاني: نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل:

سار سيرل على غرار تقسيم أوستين، ولكنَّه قسم الأفعال الكلامية إلى أربعة أقسام: (الفعل القولي، وهو يقوم على التلفظ بالكلمات أو الجمل، والفعل القضوي، وهو الذي يوافق الإحالة والجمل، والفعل الإنجازي، وهو المتضمن في القول، والفعل التأثيري، الذي يتمثل في الإقناع والحمل عليه، فالعمل المتضمن في القول يوافق بالضرورة جملة تامة)[٥]، والإقناع هو: (قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي)[٦]، ويشير سيرل إلى أنَّ العملين القضوي والإنجازي المتضمن في القول ترتبط وثيق الارتباط بالصورة اللغويَّة، كما نقد سيرل تصنيف أوستين للأعمال المتضمنة في القول ضروبًا من النقد[٧]، ووضع مقاييس تصنيفيَّة الأعمال المتضمنة في القول، ومن ثَمَّ نلاحظ أنَّ سيرل لجأ إلى تصنيف جديد للأفعال الكلاميّة على النحو التالي: ١- الإخباريات (التقريريات)، ٢- التوجيهيات (الأمريات والطلبيات)، ٣- الالتزاميات (الوعديات)، ٤- التعبيريات (البوحيات)، ٥- الإعلانيات (الإيقاعيَّات).

---

(١) ينظر: روبول، آن، وجاك موشلر، التداولية علم جديد في التواصل، ص٣١- ٣٢.

(٢) ينظر: روبول، آن، وجاك موشلر، التداولية علم جديد في التواصل، ص٣٤، وموشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٦٥-٦٦، وبلاشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص٦٠.

(٣) موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٧٤.

(٤) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، ص١٧٤، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٦٩-٧٠، وشوادر، سامية، تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي، ص٢٧٧.

(٥) موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٦٧-٧٥، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٩، والطبطبائي، طالب سيد، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٣١-٣٤، وبلاشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص٦٦.

(٦) بليث، هنريش، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيمائي لتحليل النص، ص٦٤.

(٧) ينظر: موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٧٥-٧٦.

١- الإخباريات أو (التمثيليَّات) أو (التقريريَّات) (Assertives):

(يكمن الغرض الإنجازي منها في وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية وأفعال هذا الصنف، وكلها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، والحالة النفسية هي الاعتقاد، وترتبط درجة الالتزام بالفعل المستعمل، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، وبنيته التركيبيَّة العميقة هي أنا فعل متضمن في القول) [١].

٢- التوجيهيَّات أو الأمريَّات أو الطلبيَّات (Directives):

(يكمن غرضها الإنجازي في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص أو النزاهة فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي هو أنَّ المخاطب يجب أنْ يفعل شيئًا ما، والبنية التركيبيَّة العميقة هي أنا (إليك) فعل متضمن في القول، ويدخل في هذا الصنف الأمر، والنصح، والاستعطاف، والتشجيع، والنداء)[٢].

٣- الالتزاميات أو الوعديَّات (Promissivs):

(غرضها الإنجازي هو الوعد، والتزام المتكلم فيها بتحقيق عمل ما أو أكثر في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، ويتعلق شرط النزاهة أو الإخلاص فيها بالقصد، والمحتوى القضوي هو أنَّ المتكلم سيقوم بشيء ما، والبنية التركيبية العميقة هي أنا (إليك) فعل متضمن في القول أي: أَنَّ أنا مركب فعلي في المستقبل، ويدخل فيه الوعد والوعيد والوصيَّة) [٣].

٤- التعبيريات أو البوحيَّات (Expressives):

الهدف المتضمن في القول في التعبيريَّات أو غرضها الإنجازي، هو (التعبير عن الموقف أو الحالة النفسيَّة تعبيرًا يتوفر فيه شرط النزاهة أو الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم، ولا العالم مطابقًا للكلمات، والبنية التركيبيَّة العميقة هي أنا إليك فعل متضمن في القول أنا/ أنت مركب فعلي، ويدخل فيها الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والمواساة. والمناجاة) [٤].

٥- الإعلانيات أو (الإيقاعيَّات) (Declarativs):

تتميَّز بأنها (تحدث صدقًا في محتواها القضوي للعالم الخارجي، وتستلزم مؤسسة غير لغويَّة ومنازل خاصة لكل من المتكلم والمخاطب، فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحًا فالحرب معلنة، وهي تحدث تغييرًا في الوضع القائم، واتجاه المطابقة فيها مزدوج، فهو من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط

(١) سيرل، جون، العقل والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ص٢١٧، وينظر: موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٧٦، ونحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٩، و٧٨، و١٠٣-١٠٤، وشوادر، سامية، تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي، ص٢٧٨.

(٢) موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٦٧، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٩-٥٠، و٧٩، و١٠٠-١٠٣، وشوادر، سامية، تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي، ص٢٨٧.

(٣) موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٧٦، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٠، و٧٩، و١٠٤، وشوادر، سامية، تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي، ص٢٨٢.

(٤) موشلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص٧٦، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٠، و٨٠، و١٠٤، وشوادر، سامية، تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي، ص٢٩٤.

النزاهة أو الإخلاص، والبنية التركيبيَّة العميقة هي أنا فعل متضمن في القول، أنا مركب اسمي + مركب اسمي) [١].

وقد فرَّق سيرل بين نوعين من الأفعال، الأفعال الإنجازية المباشـرة، والأفعال الإنجازية غير المباشـرة، وتسـمى الحرفيَّـة وغير الحرفيَّـة أو الأوليَّـة والثـانويَّـة. فـالفعـل الكلامي المباشـر هو: (الفعل الذي يطابق قوته الإنجازيَّة مراد المتكلم، أي: يكون القول مطابقًا للقصـد بصـولات حرفيّة تامة، ويتمثل في معاني الكلمات التي تتكوَّن منها الجملـة، وقواعـد التـأليف التي تنتظم بهـا الكلمـات في الجملة، ويسـتطيع المتلقي أنْ يصـل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصـرين معًا. أمَّا الفعل الكلامي غير المباشـر، فهو الفعل الذي لا تتفق دلالته الإنجازيَّة مع مراد المتكلم) [٢].

المبحث الثالث: الأفعال الكلاميَّة في ديوان "التضـاريس" دراسة تطبيقيَّة

سيمياء العنوان: "تضاريس":

تمثل عتبات النص بنية محيطة بالنَّص الكلي، ويعرف – أيضًـا– بالنَّص المحيط الذي يتناول عنوان الكتاب، واسم المؤلف، ولون الغلاف، ودار النشـر، والإهداء، وكل ما يحيط بالنَّص/ المتن من علامات نصيَّة، تسهم بشكل أو بآخر في عملية القراءة والتفاعل مع بنى النَّص المختلفة. ويحدد جيرار جينيت عتبات النَّص المحيط بدقة، فيقول: (هو مجموع تلك النصـوص التي تحيط بالنص أو جزء منه، وتكون مفصـولة عنه، مثل: عنوان الكتاب، وعناوين الفصـول، والفقرات الداخلة في المناص) [٣]، وأنسـب تسـمية لها عند الدكتور أحمد الطامي هي (النص المصاحب)[٤].

وعليه فإنَّ عتبات الفضـاء النَّصـي، هي بمثابة المفاتيح والمؤشرات الدلالية التي تساعد المتلقي على فهم النص، ومدى تأثيره على جمهور القراء؛ لأنَّ (النَّص المحيط هو كل ما يدور بفلك النص من مصاحبات من اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، الإهداء، الاستهلال، أي: كل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب، كالصـورة المصـاحبة للغلاف، كلمة الناشر) [٥].

جاء عنوان المدونة التضـاريس مشتبكًا مع علم الجغرافيا، حيث التضـاريس المختلفة التي تحيا فيها الذات العربية، وجغرافية الجزيرة العربية من حيث الهضـاب والجبال والمسطحات والوديان والسهول، وكل ما تحمله البيئة من سواحل متنوعة في شبه الجزيرة العربية، ولكنني أظنُّ أنَّ الشـاعر محمد الثبيتي قد ارتكز على الانتقال بمفردة التضـاريس من دلالاتها اللغوية إلى علاماتها الممتدة في العلوم الإنسـانية المختلفة، فتصـبح التضـاريس علامة مركزيَّة للدخول في متن الديوان، حيث جاء هذا الديوان مكونًا من مجموعة من القصـائد، وهي كالتالي: "ترتيلة البَدْء، القرين، المُغَنّي، الصـعلوك، الصَّـدى، الفَرَس، البابلي، البَشِـير، الأَجِنَّة، تغريبة القوافل والمطر، قِلادة، قَلب، قراءة، آيات لامرأةٍ تضيء، الأسئلة".

(١) موشـلر، جاك، وآن ريبول، القاموس الموسـوعي للتداولية، ص٧٦–٧٧، وينظر: نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصـر، ص٥٠، وص٨٠، و٩٨–١٠٠، وشوادر، سامية، تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي، ص٢٩٧.

(٢) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٧٩، وينظر: سيرل، جون، العقل والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ص٢٢٠.

(٣) بلعابد، عبدالحق، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، ص٣٠.

(٤) الطامي، د. أحمد صالح، المصطلح والتناص والعتبات، ص٩١.

(٥) رشـيد، وقاص، عتبات النص وعتبات الرؤيا: مقاربة تأويلية أنطلوجية في شعر محمد الثبيتي تضاريس نموذجًا، ص٣٥٩–٣٨٢، وينظر: منير، انتصار عبدالعزيز، تضاريس محمد الثبيتي: دراسة سيمائية، ص١٧٠–١٩٢.

ويعدُّ العنوان في العمل الأدبي من النُّصـــوص المحيطة بالنَّص الكلي في بنية النص، بل يمثل مؤشـــرًا رئيسًـــا وإضاءة للدخول في المتن تساعد على استيعابه، ومدخلاً مهمًّا لفهم نصـــوص الديوان، (فالعنوان عتبة دالة، فهو كعلامة لغويَّة وعتبة نصـــيَّة لبقية قصـــائد الديوان الشـــعري)[١]، ذلك (أنَّ للعنوان وظائف عديدة، منها: قد يكون منبِّهًا لتغييرات المتن الشـــعري، أو تغيرات في التجربة الشـعريَّة للشـاعر، أو تعرجات القصـيدة إيقاعًا ودلالة ولفظًا، وقد يكون تتبعًا لتغيرات طارئة على المكان في بعده الجغرافي، وقد يكون له إيحاءات على الزمانيَّة أي: تغيرات رسـمتْ سَـمْتَ الزمن الانطولوجي)[٢]، كما نلاحظ أنَّ عناوين قصـائد الثبيتي في ديوان التضـاريس ارتبطت بشـكل مباشـر أو غير مباشـر بطبيعة البنية العنوانية في النصـوص الداخلية، حيث ترتبط التضـاريس بالفرس والخيل، والتغريبة، والقوافل، والمطر، والصدى في الصحراء، وتردد الأصوات بين الجبال وفي بطون الأودية والسـهول، وبالصـعلوك، وبالبشـير المنادي، والآيات التي تضـيء الليل، والأسئلة الملحة على ذهن العربي المرتحل في تضاريسه المتنوعة، وهي عناوين ذات دلالات إيحائية لعتبة الديوان.

لقد أراد الشـاعر محمد الثبيتي من عتبة العنوان أن يكونَ مَعْبَرًا آمنًا للقارئ لدخول عالم النص من ناحية، وليكون صـلة بينه بصـفته المبدع وبين المتلقي بصـفته القارئ المتشـوق والمسـتكشـف لعوالم النص، وقد كفاني الباحث الجزائري رشيد وقاص بكتابة بحث عن عتبات النص في ديوان تضـاريس لمحمد الثبيتي، ولمن يرغب في التوسـع يمكنه النظر في البحث.

الأفعال الكلاميَّة في ديوان "تضاريس"

تمتـد الأفعـال الكلاميَّـة وأنواعهـا المختلفـة في ديوان تضـاريس للشـاعر السـعودي محمد الثبيتي، وتعتمد في تحليل الديوان حسـب تصـنيف سـيرل الذي قسـم الأفعال الكلاميَّـة إلى إخبـاريـات أو تقريرات، وتوجيهيـات أو الأمريات أو الطلبيات، والتزاميّات أو الوعديات، وتعبيرات أو البوحيـات، وإعلانيـات أو إيقـاعيّـات حيـث تعـددت الأفعال الكلاميَّة في الديوان، وهذا يدل على تعدد أهداف الشـاعر، وتخيَّرتُ من القصـائد ما يتناسـب وموضـوع البحث.

فكـانـت الأفعـال الكلاميَّـة تـارة تعبيريَّـة، وتوجيهيَّـة تـارة أخرى، وكان الإنجاز سـلوكيًّا مرة، وتقريريًّا مرة أخرى، أو بشكل مباشر أو غير مباشر أو غير مباشر "تلميحيَّة". حيث يمثل الشـــاعر محمد الثبيتي شـــاهدًا على مرحلة التحولات الكبرى في بنية القصـيدة السـعوديَّة تحديدًا، فهو يعد نقطة جوهريَّة لا يمكن تجاوزها في مسـيرة القصـيدة السعوديَّة، ولا سيَّما الشعر المعاصر، فقد واكب التطورات التي لحقت بالشـــعر العربي كإحياء الشـــعريَّة وخطاب الحداثة التي بدأت في خمســـينيات القرن الماضـــي. وتبلورت رؤيتها الفنيَّة في بنية قصـــيدة الثمانينات من حيث تصـاعد تيار التجريب، متخطيًّا عقبات الأصـوات النقديَّة التي تدعو للتمسـك بالمفاهيم الراسـخة والتقليديَّة، محاولة منه إثبات المفاهيم الحداثية كالشـــكل التفعيلي للقصـيدة والجرأة الفكريَّة. وقد انعكست حالة التصـادم بين المدرسـتين على قصـيدة الثبيتي، فأصـابها قلق الإبداع جراء الحجاج الفكري والاجتماعي والثقافي الدائر آنذاك، ولم يكن الثبيتي مدفوعًا بهاجس التمرد على الثوابت بقدر

(١) رشيد، وقاص، عتبات النص وعتبات الرؤيا: مقاربة تأويلية أنطلوجية في شعر محمد الثبيتي ديوان تضاريس نموذجًا، ص٣٦٠.

(٢) المرجع السابق.

تحقيق نموذجه الذاتي لخلق فلسفته الخاصة في الحياة، ورؤيته تجاه الأشياء، يقول سعيد علي "أندونيس": (ليس شاعرًا، إذن، من لا يكون تغيير العالم في أساس حدسه الشعري، فكما ينسلخ الشاعر من نفسه، لكي يجد نفسه، كذلك يهيئ للعالم أنْ ينسلخ من نفسه، لكي يجد نفسه، فالعالم جسد الشاعر لا يستطيع إلَّا أنْ يحركه، إلَّا أن يغيره، وحين لا يفعل يكون ميّتًا)[١].

المطلب الأول: الإخباريات (التقريريَّات) (Assertives):

يعتمد الشاعر محمد الثبيتي في بناء ديوانه تضاريس على الأسلوب الخبري، وهو ما نعني بالإخباريات على حدِّ قول سيرل، فهي ما تخبرنا به الذات الشاعرة من أقوال إنجازيَّة تسهم في الإقناع، حيث يبدأ الديوان من خلال العنوان الذي جاء بصيغة النكرة (تضاريس)، وهذه المفردة خرجت من معناها المباشر إلى معناها الرمزيّ أو العلاماتي على حدِّ قول السيمائيين، فهي تمثل المركز الرئيس في الديوان. تضاريس مفردة انتقلت من الاستخدام العلمي في الجغرافيا إلى حقل الشعريَّات الجديدة، فهي تشكل علامة دالة على الأمكنة التي يطرحها الشاعر في الديوان من جهة، وعلى تضاريس الحياة من جهة أخرى، وما تفجَّر عنها من رؤى وأفكار أدبيَّة أو شعريَّة أو سياسيَّة أو ثقافيَّة، ممَّا يجعل هذا الديوان يمثل النضج المعرفي والفني لدى الشاعر الثبيتي، ونلاحظ حركة الأفعال الكلاميَّة الإخباريَّة من خلال استخدام الشاعر للجملة الخبريَّة التي تحتمل الصدق والكذب.

يقول الشاعر في قصيدته "ترتيلة البدء":

"جِئْتُ عَرَّافًا، لِهَذَا الرَّمل

أَسْتَقْصِي اِحْتِمَالَاتِ السَّوَادِ

جِئْتُ أَبْتَاع أَسَاطِيرَ

وَوَقْتًا وَرَمَادا"[٢]

يعتمد النص الشعري السابق على صورة الخبر من خلال الفعل الماضي "جِئْتُ" الذي يسهم في رسم صورة للسرد الشعري، لما يحدث بعد فعل الحضور، فيكشف عن سبب المجيء، فهو العارف بثقافة الصحراء في الجزيرة العربيَّة، وصحراء المملكة المليئة بتضاريس الثقافات المختلفة، ويعتمد على التكرار اللفظي من خلال "جِئْتُ أبتاعُ أساطيرَ ووقتًا ورمادًا"، فيدرك الشاعر أنَّ الأصل هو البحث وراء الغيب والمجهول والأساطير التي تشكلت من خلالها كل أسباب الحياة. نلاحظ استخدام الشاعر لهذه الأفعال الإنجازيَّة. مثل: (جئت – أستقصي – أبتاع) جل هذه الأفعال تسهم في صياغة علاقة الشاعر بوطنه وحياته في الجزيرة العربيَّة، معتمدًا على صناعة مشهد درامي خلاق بينه وبين الرمل المتحرك الصبور، متتبعًا أساطير الصحراء الواسعة في كل مكان، فدلالة التحول في الفعل الماضي (جئت) إلى المضارع (أستقصي – أبتاع) يدخل في صميم الدلالة الزمنية والأسلوبية، وهو مظهر من مظاهر التحول البلاغي والتداولي في اللغة.

جئتُ ⟵ فعل ماضٍ يدل على الحدث المنتهي (القدوم الذي حصل وانتهى).

أستقصي – أبتاع ⟵ أفعال مضارعة تدل على الحال والاستمرار أو المستقبل القريب، كما تدل على الانتقال من الإخبار إلى الفعل الحي، فهي تحل القارئ أو السامع إلى اللحظة الحاضرة، وكأنَّ الأفعال تحدث الآن، فتجعل الكلام أكثر حيويَّة وتفاعلاً كما تعطي شعورًا بأن العمل

(١) سعيد، علي أحمد (أدونيس)، فاتحة لنهايات القرن: بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، ص٣١.

(٢) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٥٩.

ما زال جاريًا أو أنَّ المتكلم دائم الانشـــغال بهذه الأفعال، هذا التحول شـائع في البلاغة العربية، ويسـمى الالتفات، أي: الانتقـال من زمن إلى آخر أو من غـائـب إلى مخاطب؛ ليحدثَ تنشـــيطًا للســـامع، ويجعل الكلام أكثر تأثيرًا حيث يضفي الواقعية والحركة في الكلام التداولي.

ويقول الشاعر في مقطع آخر:

"بينَ عَينَيَّ وَبينَ السَّبتِ طَقْسٌ وَمَدِينةٌ
خَدَرٌ يَنْسَابُ مِنْ ذِي السَّفينَةِ
هَذِهِ أُولَى القِرَاءاتِ
وَهَذَاْ وَرَقُ التِّينِ يَبُوحُ"(١)

تتجلى طبيعة الأفعال الكلاميَّة من خلال الإخباريات عن حضـــور الذات في قلب النص الشـــعري، ومن خلال الاســـتخدام الواضـــح للظرفيَّة المكانيَّة بين "**عينيّ**" وبين الزمنيَّة "**السبت**" تبدو الطقوس والمدينة في علاقة تواشج طقسي وتقاليد حياتيَّة ممتدَّة عبر التاريخ والمكان، فنلاحظ علاقة الشاعر الثبيتي بالمدينة التي لا يشعر فيها بالحياة والسكينة والهدوء والبراح، فيستخدم فعلين "**ينساب، يبوح**". وهمـا فعلان لهمـا دلالات تـأثيريـة في علاقـة الـذات بـالمكـان، وأوراق التين التي تبوح بـالحزن والألم والحنين إلى موطنها الأول. ومن ثَمَّ نلاحظ اســـتخدام الشـــاعر للأفعال التي تعتمد على طبيعة إخباريَّة إيحائيَّة داخل النص الشـــعري من جهة وخارج النص من جهة أخرى؛ (لأنَّ ممارســة التلفظ اللغوي هي التي تدل على المرسـل في البنية العميقة للنص، ممَّا يجعل حضور الأنا واضـحًا في بنيـة النص، ويســـهم في وجودهـا بـالقوة والكفـاءة، واستدعائها لتأويل النص تأويلاً مناسبًا) (٢).

ونلاحظ –أيضًـا– ذلك الطابع الإشـاري للأفعال الكلاميَّة **(يبوح – ينســـاب – جئت)** هذه الأفعال التي تفيد الخبر محتملة الصـــدق أو الكذب، فنحن إذن أمام حالات من البوح الشفيف في تجربة الشاعر محمد الثبيتي، لما تحمله تلكم الأفعال من حضـور فاعل للذات يمثل وجهًا إنجازيًّا واضـحًا، (فالغرض الإنجازي لهذه الأفعال نقل الواقع نقلاً أمينًا)(٣).

المطلـب الثـاني: التوجيهـات (الأمريَّـات والطلبيَّـات) (Directives):

يقول عنها محمود نحلة: (الطلبيات، وهي كل الأفعال الكلاميـة التي تـدل على الطلـب، بغض النظر عن صـيغتها، وهو أمر أخذ به الأصـوليون والفقهاء وبعض المتكلمين، فيقول الإمام الغزالي مشـيرًا إلى عبارات مثل: أَمَرتُكَ، وأَوجَبْتُ عليك، وفَرضـــتُ، وخَتَمتُ، فإنْ تركتَ فأَنتَ مُعاق. وهذه الألفاظ الدالة على معنى الأمر تسـمى أمرًا)(٤)، و"يمكن غرضـــها الإنجازي في محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى عمل شـــيء معين بغرض الطلب، واتجاه المطابقة من العالم بالكلمات، ويدخل في هذا النوع الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع والدعوة والإذن والنصح، بل التحدي أيضًا الذي جعله أوستين في أفعال الســـلوك وكثير من أفعال القرارات عند أوســـتين تدخل في هذا النوع الكلامي)(٥).

يقول الشاعر محمد الثبيتي في قصيدة ترتيلة البدء:

"قُلْ: هو الرَّعْدُ يُعَرّي جَسَدَ المَوتِ
وَيَسْتَثْنِي تَضَاريسَ الخُصُوبَةِ
قُلْ: هِيَ النَّارُ العَجِيْبَةُ

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٥٩.
(٢) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية، ص٨٢.
(٣) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٠٣–١٠٤.
(٤) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٠٠– ١٠٣.
(٥) المرجع السابق، ص٥٠، و٧٩، و١٠٠–١٠٣، وينظر: كنون، أحمد حسن، التداولية بين النظرية والتطبيق، ص٢٨٤.

تَسْتَوِي خَلْفَ المَدَارِ الحُرِّ تِنّيْنًا جَمِيْلاً
وَبَكَارةْ
نَخْلَةٌ حُبْلَى
مَخَاضًا للحِجَارة"(١)

يستخدم الشاعر في بناء قصيدته الأفعال الأمريَّة التي تدخل في صنف التوجيهات والطلبيات، ومنها: **(قُلْ، قُلْ)** حيث يكرر فعل الأمر مرتين، وهو في ظاهره طلب مباشر للكلام، لكن في الشعور (وفي البلاغة عمومًا) الأوامر ليست دائمًا بمعناها الحرفي، بل تستخدم لأغراض أوسع وأعمق. فهي تسهم في تحقيق غرض إنجازي غير مباشر من خلال الكشف عن علاقة الشاعر بالآخر في مواجهة الحياة ومكرها التي تتخلق عنها مخاضات الحياة، فالرعد يعري الجسد للموت، والنار تستوي خلف المدار الحر تنينًا جميلا، ففي هذا السياق يحفز الشاعر المتلقي على تصوير وتخيل المشهد كما يراه هو (الرعد، النار، التنين...)، فالأمر "قل" معناه: تخيَّل، صوّر، عبّر، وليس مجرد القول اللفظي، والشاعر هنا لا يقدّم الصورة مكتملة، بل يجعل القارئ شركًا له في تشكيل المعنى، كما أنَّ الشاعر يريد أن يجعل من هذه الصور الجديدة حقيقةً شعرية لا جدال فيها، وكأنها تضفي على الصور قوة اليقين والتوكيد.

والأفعال الطلبية الأمرية هنا تحفّز القارئ على رؤية العالم من منظور جديد، ومن بعد زمني طويل،

فالرعد ⟵ يعري جسد الموت، يعني يزيل الجمود، ويوقظ الحياة، والنار ⟵ تستوي تنينًا جميلاً، أي: تتحول إلى شيء جميل وخلاق، فالأفعال الطلبية تفتح بابًا للانتقال من الواقع العادي إلى العالم الرمزي الأسطوري (الرعد، النار، التنين الجميل...).

ويقول الشاعر الثبيتي معتمدًا – أيضًا– في بناء نصه على استخدام الأفعال الطلبية من خلال الاستفهام في قصيدة الصعلوك:

"يَفِيقُ مِنَ الخَوفِ ظُهْرًا
وَيَمْضي إلى السُّوقِ
يَحْمِلُ أَوْرَاقَهُ وَخُطَاهُ
مَنْ يُقَاسِمُنِي الجُوعَ وَالشّعْرَ والصَّعْلَكَةْ؟
مَنْ يُقَاسِمُنِي نَشْوَةَ التَّهْلُكَةْ؟"(٢)

ارتكز الشاعر في المقطع السابق على بنية الاستفهام؛ ليحقق من خلالها غرضه الإنجازي الطلبي، فيطلب من المخاطب أَنْ يقاسمه الجوع والشعر والصعلكة، مرددًا وموجهًا حديثه إلى الذات من جهة، والمخاطب من جهة أُخرى، فتحمل دالة الصعلوك على الفوضى والتمرد والجنوح نحو اللا موجود، حيث يمضي الشاعر صاخبًا إلى السوق بعد فعل الإفاقة الزمنية ظهرًا فيستخدم **(يفيق – يمضي – يقاسمني – يحمل)**، لتحمل شحنتها الدلالية صورة الذات التي تبحث عن تهلكة النشوة ونشوة التهلكة، والدخول إلى عالم جديد من البحث والحضور والتفكك الإنساني الذي يحاول فيه القبض على جمرة المعرفة.

إنَّ أقوى الأساليب البلاغية في الشعر الاستفهام الإنكاري التحفيزي، فالشاعر يبحث عن شخص يشاركه هذه المعاناة أو هذه الحياة، فالاستفهام هنا لا يراد به الجواب، بل هو محمَّل بدلالات عميقة، منها: أنَّه ينكر أن يكون هناك من يشاركه المصير القاسي، فكأنه يقول: لا أحد يشاركني هذا الطريق. فهذا استفهام يفيد النفي والوحشة، ويبرز تفرده ومعاناته الخاصة.

الشاعر هنا يعبر عن الوحدة والصراع، فهو يكشف عن شعور عميق بالوحدة، وكأنَّه يقول: أنا وحدي من يعيش

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٥٩–٦٠.

(٢) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٧١.

الجوع والشعر والصعلكة.. لا أحد يرافقني، يصور نفسه صعلوكًا، ثائرًا، منبوذًا، يقف وحيدًا في مواجهة المجتمع، كما أنَّ الاستفهام بمن يحفز القارئ للتأمل والمشاركة الوجدانية.

➡ هل أنت يا قارئي مستعدًا لتشاركني هذا الطريق الصعب؟

➡ من منكم يملك الشجاعة ليعيش نشوة التهلكة، أي: لذة المخاطرة والموت من أجل الحرية أو الشعور؟

كما أنَّ السؤال يعكس روح التحدي، فذكره لـ "الجوع"، و"الشعر"، و"الصعلكة"، و"التهلكة" معًا، يحول السؤال إلى إعلان تمرد. كأنَّه يفتخر: "أنا الذي اخترت هذا الطريق، فمن مثلي؟ من يستطيع فعلها؟

فالسؤال طلب أمر أو التماس أو أذن، وكأنها تتضمن معنى "التمس" الرمزية.

ويقول الشاعر في قصيدته ترتيلة البدء:

"يَا غُرَابًا يَنْبُشُ النَّارَ
يُوَارِي عَوْرَةَ الطّيْنِ وأَعْرَاسَ الذُّبَابِ
حَيْثُ تَمْتَدُّ جُذُوْرُ المَاءِ
تَمْتَدُّ شَرَايِيْنُ الطُّيُوْرِ الحُمْرِ
تَسْرِي مُهْجَةُ الطَّاعُونِ
يَشْتَدُّ المَخَاضْ
يَا دَمًا يَدْخُلُ أَبْرَاجَ الفُتُوْحَاتِ
وَصَدْرًا يُنْبِتُ الأَقْمَارَ والخُبْزَ الخُرَافِيَّ
وَشَامَاتِ البَيَاضْ"(١).

يستخدم الشاعر أسلوب النداء بداية من المقطع الأول يا غرابًا، وكأنَّه يستخدم الغراب بوصفه رمزًا شعريًّا دالاً على الحزنِ والألم والفقد والضياع، مستدعيًا قصة الغراب من القرآن الكريم، وهو يواري سوأة أخيه، مشيرًا إلى أول حادثة قتل في تاريخ البشرية بين هابيل وقابيل، وكيف عجز قابيل في دفن أخيه هابيل، يقول الله عن تلك الحادثة: (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)(٢)، وتكشف الأفعال الكلامية مثل: (ينبش، يواري، تمتد، تسري، يشتد، يدخل، ينبت) كل هذه الأفعال تحرّك المشهد الشعري، وتجعل الكلام نفسه فعلاً مؤثرًا، وليس مجرد وصف، فهي تؤدي دورها الإنجازي من خلال تحقيق التأثير والإقناع لدى المتلقي، كما أنَّ صيغة النداء (يا غرابًا ينبش النار)، (يا دمًا يدخل أبراج الفتوحات)، (وصدرًا ينبت الأقمار...) حيث إنَّ أداة النداء تحمل نسيجًا لغويًّا رائعًا في جوهر النص الشعري لدى الثبيتي (يا غرابًا) يشرك السامع، ويحول الغراب إلى رمز الموت أو الشؤم، فيصبح النداء فعلاً تداوليًّا يرمي إلى التوبيخ أو التنبيه، وقوله: (يا دمًا) نداء للقارئ الجبان بأنَّ الدم هو الذي يصنع الانتصارات، أي: أنَّ العنف والتضحية هما طريقا المجد والعز والكرامة، فالدم ليس سلبيًا، بل هو قوة فاعلة تقتحم الأبراج من أجل النصر والتمكين، (وصدرًا) أي: (ويا صدرًا) فالصدر هنا يقدَّم كرمز للأمومة، للعطاء، للخلق الجديد، فهو ينتج الأقمار (الضياء)، والخبز (الحياة) وشامات البياض (الجمال والنقاء). والثبيتي بعد هذه الأفعال التأثيرية (ينبش...) يريد منا التصديق بأن الغراب يواري عورة الطين، فهو هنا يتجاوز المعنى الحرفي (للحفر) إلى معنى تداولي أعمق: إثارة الفتنة، إحياء الدمار، إشعال الصراع، فالفعل (يواري) يعني: (يخفي، يغطي) فدلالته التداولية تعني: محاولة تغطية العار أو إخفاء القبيح، والطين + الذباب= رموز

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ، ص٦١.

(٢) سورة المائدة، آية ٣١.

الفساد والانحطاط، فكأن الفعل يشير إلى تحسين القبيح، وتجميل الباطل والتستر عليه. وأما الفعل (تمتد)، فيفهم من منظور تداولي على انتشار الحياة (جذور الماء) وانتشار الثورة أو الدم (شرايين الطيور الحمر)، فالفعل ينجز معنى التوسع والنمو والتحول، أي أن هناك قوى خفية تمتد في الأرض والسماء من أجل الحرية. وأما الأفعال (تسري مهجة الطاعون، يشتد المخاض)، فالمعنى التداولي للفعل (تسري) يدل على انتشار الخطر، أي أنَّ المرض أو الخراب يغزو الأرض بشكل خفي، والفعل (يشتد) يحمل دلالة مزدوجة: ألم ودمار (المخاض صراع) لكنه –أيضًا– بشارة بولادة قادمة (حياة جديدة بعد العذاب)، فهذا يعد فعلاً تداوليًّا من نوع التبشير الكامن داخل الإنذار. وأما الفعل (ينبت الأقمار والخبز الخرافي وشامات البياض)، فالفعل (ينبت) يفيد تداوليَّة الإخصاب، الإنتاج، التجدد، وكأنه ينجز معنى التحول من الخراب (الطاعون) إلى الخصب والنماء.

يقول الشاعر في قصيدته "تغريبه القوافل والمطر":

"أَدِرْ مُهْجَةَ الصُّبْح

صُبَّ لَنَا وَطَنًا في الكُؤوس"[1]

تتميز هذه القصيدة بغلبة الأفعال الكلامية الأمرية (التوجيهية)، التي تخلق جوًّا من الحث والرغبة في التغيير قول الشاعر: "أَدِرْ مُهْجَةَ الصُّبْحِ"، فعل أمر يفتتح به الشاعر مقطعًا مهمًا في القصيدة، موجهًا الخطاب إلى ساقٍ أو كيان ما قادر على التحكم ببدايات الأشياء، والغرض المباشر منه: الأمر بإدارة مهجة الصبح (فعل توجيهي). أمَّا الغرض غير المباشر: فهو يتجاوز الأمر معناه الحرفي إلى طلب إحداث بداية جديدة، وخلق واقع مختلف. "مهجة الصبح" ليست مجرد بداية يوم، بل هي جوهر الحياة والانطلاق. هناك استلزام حواري يدعو إلى التجديد والثورة على الركود. هذا الفعل يمثل نموذجًا واضحًا للفعل التوجيهي الذي يهدف إلى جعل المخاطب يقوم بفعل ما. والقوة الإنجازية هنا هي الأمر، والقوة التأثيرية المتوقعة هي استجابة المخاطب وإحداث التغيير المطلوب. يقول الشاعر: "صُبَّ لنَا وطناً فِي الكُؤُوسِ" يأتي هذا الأمر متصلاً بالأمر السابق، حيث يطلب الشاعر من الساقي أن يصب له وطناً في الكؤوس، هذا فعل كلامي مجازي بامتياز. لا يُقصد به صب وطن مادي، بل خلق شعور بالانتماء والهوية والأمان من خلال الشراب أو التجربة الروحية التي يرمز إليها. الوطن هنا ليس مكاناً جغرافيًاً فحسب بل حالة شعورية ووجودية. الاستلزام الحواري هو البحث عن ملجأ أو هوية في عالم الاغتراب. يوضح هذا كيف يمكن للأفعال الكلامية أن تعمل على مستوى مجازي ورمزي عميق، وكيف أن فهم القصد يتطلب تجاوز المعنى الحرفي والاعتماد على السياق الثقافي والنصي.

وشرط النجاح لمثل هذا الأمر لا تتعلق بالقدرة الفيزيائية على صب وطن، بل بالقدرة على إثارة الشعور بالوطن.

المطلب الثالث: الالتزاميات (الوعديات) (Promissivs):

(يكمنُ غرض الالتزاميات الإنجازي في التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، ويدخل في هذا الصنف الوعد والوصية، حيث يكون غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء مستقبلي،

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٩٧–١٠٦.

ويكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات)[١]، أي: ما يُلزم به المتكلم نفسه أو السامع ضمنيًّا عند النطق بالكلام، بمعنى آخر: ما هو الفعل الاجتماعي أو النفسي أو العاطفي الذي ينجزه هذا القول، بغض النظر عن كونه مجرد وصف، ويتضمن هذا النوع من أفعال الكلام، أفعال الدعوة، وتتجلى أفعال الكلام الخاصة بالالتزاميات في قصائد عدة من ديوان "تضاريس"، ونحاول أن نذكر نماذج على هذا الصنف على سبيل المثال، منها قول الشاعر في قصيدته "البابلي":

"مَسَّهُ الضُّرُّ هَذَا البَعِيْدُ الغَرِيْبُ المُسَجَّى
بِأَجْنِحَةِ الطَّيْرِ
شَاخَتْ عَلَى سَاعِدَيْهِ الطَّحَالِبُ
وَالنَّمْلُ يَأْكُلُ أَجْفَانَهُ
وَالذُّبَابْ
مَاتَ ثُمَّ أَنَابْ"[٢]

في هذا المقطع الشعري تبرز الأفعال الكلامية (الالتزاميات الإنجازية)، وهي الأفعال التي لا تكتفي بالوصف، بل تقوم بفعل أو تحقق أثرًا واقعيًّا أو نفسيًّا على المتلقي، تهدف إلى إحداث تأثير وجداني عميق، وإشعار القارئ بوطأة المعاناة، والموت، والسقوط التدريجي للكائن المصوَّر، فالشاعر لا يصف مجرد جسد ميت، بل ينجز فعلاً بلاغيًّا يجعل القارئ يعيش تفاصيل الفناء.

يبدأ الشاعر بقوله: (مسَّه الضر) وهو تعبير قرآني يحمل في طياته ألمًا قدريًّا، أي أنَّ المعاناة ليست طارئة، بل عميقة ومستمرة، وفي هذا التركيب الفعلي إيحاء قوي للعزلة والمعاناة، ثم يصفه بـ (البعيد الغريب) الأمر الذي يُشعر القارئ بأنَّه منبوذ، مقطوع الصلة بالناس، كأنَّه جسد ميت لا أحد يهتم به.

(المسجى بأجنحة الطير) صورة مشحونة برمزية الموت، فالمسجى، تعني الميت المغطى، لكن الغطاء هنا ليس كفنًا بل (بأجنحة الطير) ممَّا يوحي بانتقال الروح أو فكرة الحرية التي لم تتحقق إلا بالموت. كما أنَّ الأجنحة قد ترمز إلى الهشاشة والتلاشي.

(شاخت على ساعديه الطحالب) مشهد الزمن المتوقف، فالطحالب لا تنمو على جسد إلا إذا طال بقاؤه في السكون، ممَّا يوحي بأن الجسد ميت منذ زمن طويل، فالفعل (شاخت) يعطي الطحالب نفسها عمرًا، فيتحول الجماد إلى كائن زمني، بينما الجسد يتآكل.

(والنمل يأكل أجفانه والذباب) صورة قاسية للفناء، حيث لم يبقَ حتى الجفن فريسة للحشرات الصغيرة، إنَّه تجسيد لسقوط الكرامة والجسد في آن واحد.

(مات ثم أناب) فعلان ماضيان، الأول يوحي بالفناء، والثاني يوحي بالعودة، وكأنه يعمق فكرة الموت والحياة.

والشاعر في هذا النص يبني توترًا نفسيًّا يبدأ بالإحساس بالغربة، ثم يدخل إلى تفاصيل دقيقة تزعزع شعور القارئ بالراحة (أجنحة الطير، الطحالب، النمل، الذباب، الفناء)، والصور في النص تتصاعد تدريجيًّا من الجمود (الموت، الطحالب) إلى الحركة (النمل يأكل... والذباب، الحياة) ما يخلق حالة من القلق والاضطراب النفسي، كأنَّ الموت في النص ليس ساكنًا، بل كائن حي يتحرك ويدور بلا توقف. هذه الصور القاسية تخدم غرضًا فلسفيًّا هو: تصوير عبثية الحياة ونهاية الجسد كشيء لا يملك قداسة أمام الزمن.

(١) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٠، و٧٩، و١٠٤.

(٢) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٨١.

كما نلاحظ أن الأفعال الماضوية (مسَّه – شاخت – مات – أناب) تشـير إلى أنَّ المعاناة مازالت مسـتمرة ممتدة بامتداد الزمن في دورة لا تنتهي من الفناء والعودة.

ويقول الشاعر في مقطع آخر من القصيدة السابقة:

"وَعَادَ إِلى مَنْبَعِ الطِّيْنِ مُعْتَمِرًا رَأْسَهُ
الأَزَلِيَّ
تَجَرَّعَ كَأْسَ النُّبُوءَةِ
أَوْقَدَ لَيْلاً مِنَ الضَّوْءِ،
غَادَرَ نَعْلَيْهِ مُرْتَحِلاً فِي عُيُوْنِ المَدِيْنَةِ
طَافَ بِدَاخِلِهَا أَلْفَ عَامٍ
وَأَخْرَجَ أَحْشَاءَهَا لِلكِلَابْ
هَوَى فَوْقَ قَارِعَةِ الصَّمْتِ
فَانْسَحَقَتْ رُكْبَتَاهُ
تَأَوَّهَ حِيْنًا
وَعَادَ إِلَى أَوَّلِ المُنْحَنَى بَاحِثًا عَنْ يَدَيهْ
تَنَامَى بِدَاخِلِهِ المَوتُ
اِخْضَرَّ ثَوبُ الحَيَاةِ عَلَيهْ"(١)

يعتمد الشـاعر في النص السـابق على الأفعال الكلامية الإنجازية التي تفيد الالتزام بالوعيد أو التعهد، أي التي توحي بالوعد أو التعهد المستتر بفعل قادم ليست مباشرة صـريحة. مثل: (سـوف أفعل، أعدك، سـيتحقق) بل تأتي عبر بنية شعرية ضمنية توحي بأنَّ هناك حركة أو مصير قـادم، وتعتمـد على الأفعـال الحركيـة الـدائريـة والرمزيـة، وكأن الشـاعر يعد القارئ في النص بمرحلة تالية، وعليه فالأفعال الأقرب إلى الوظيفة الوعدية قوله: (عاد)، فقد تكررت مرتين: "عـاد إلى منبع الطين"، "عـاد إلى أول المنحنى"، هذا الفعل يحمل وعدًا ضمنيًّا بالعودة المتكررة، وفي الشعر الصوفي أو الرمزي، فإن العودة تعني دورة لم تكتمل، فالشـاعر يعد بأن الرحلة لن تتوقف حتى يبلغ البطل غايته أي: سـيكمل المسـار مهما كان. وقول الشـاعر: (غادر نعليه مرتحلاً في عيون المدينة)، فالفعل هنا يشـعر بحركة انتقالية تحمل وعدًا بمصـير جديد، فالمغادرة والارتحال معًا يشيران إلى بداية رحلة، وهو وعد ضـمني بمسـتقبل سـيُكشـف لاحقًا كما فعل النبي موسـى عليـه السـلام في الوادي المقدس. وأمـا قولـه: (طـاف بداخلها ألف عام)، فالطواف فعل ديني رمزي يحمل وعدًا بالاكتمال بعد الدوران، فالطواف يوحي بأنَّ النهاية ستأتي بعد هذه الدورة، ممَّا يخلق توقعًا أي وعدًا بـالعودة من جديد. إنَّ الرحيل والطواف يوحيان برحلة روحيَّة، هدفها ليس فقط الهروب، بـل السـعي إلى النقاء، إلى نقطـة اكتمال. والفعل "اخضـرَّ" في قوله: (اخضـرَّ ثوب الحياة عليه) يمثل قمة الدورة. إنَّ هذا الفعل يفيد تجدد الحياة أي لحظـة البعث بعد الموت أو رمزيـة الخصـب والحياة الروحية بعد الفناء الجسدي، فاخضرار الحياة يوحي بوعد ضـمني بالبعث والعودة والتجدد، خصـوصًـا في السـياق العربي الذي يربط اللون الأخضـر بالخصـب والنماء وتجدد الحياة بل وجمالها.

وما حدث للذات الشـاعرة من تأثير على الواقع من جهة أو أثر هذا الواقع عليها، فالشـاعر اسـتخدم الأفعال الكلامية (عَادَ – تَجَرَّعَ – طَافَ – غَادَرَ – أَخْرَجَ – هَوَى – انسَـحَقَتْ – تَنَامَى – اخْضَـرَّ)، وهي أفعال تفيد بالوعديات لكن غير مباشـرة أي ضـمنية، فالموت والتعب ليست النهاية، بل هناك عودة، وولاة قادة. إنَّ هذه الأفعال تكشف عن حجم المعاناة الإنسانية التي يكابدها الشاعر كل لحظة من لحظات حياته؛ وتكشـف –أيضًـا– عن الهزائم المكرورة التي تقع على قلبـه، فتموت الأحلام

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٨١–٨٢.

والقضايا الكبرى التي يبحث عنها كي يرسمَ عالمًا مُتسِعًا وجميلاً، فالشاعر ملتزم بوعده، وهو التحدي والتصدي لتلك المعاناة المخذلة له في الحياة حتى يأتي اليوم التي تخضر له الأرض من تحت رجليه، فهو متعهد لذاته أن الحياة ستخضر.

الحقيقة أن الفكرة المحورية التي يدور حولها النص، هي الدورة الوجودية لرمزية (الموت والحياة)، والشاعر الثبيتي يستلهم هذا الفكرة من التجارب الفلسفية أو الدينية التي تبدأ بالخلق من (الطين، الماء، الأصل)، ثم الرحلة، فالاختبار أي: أن تمر بالمعاناة والانكسار (الصمت، السقوط، الموت) ثم العودة/البعث إلى النشوء الجديد (البعث، الاخضرار، التجدد)، (عاد إلى المنحنى – اخضر ثوب الحياة) وعد بالنهضة والبعث من جديد، ففلسفة الحياة عند الثبيتي ليست خطًّا مستقيمًا ينتهي بالموت، بل دائرة مستمرة، وفي التصوف: أنَّ الإنسان لا يبلغ الكمال إلا عبر الفناء أولاً، ثم البقاء أي: الولادة الجديدة بعد الموت الروحي، وهي تتكرر كثيرًا عند شعراء الحداثة، مثل: السياب، وأدونيس، ومحمود درويش.

المطلب الرابع: التعبيريات (البوحيات) (Expressives):

(يكمن غرض التعبيريات الإنجازيَّة في التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوفر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقًا للكلمات، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والمواساة، والتعزية) [١]، ففي علم الأفعال الكلامية، الإنجازيات التعبيريَّة هي الأفعال التي تعبر عن موقف المتكلم من شيء ما (كالتقييم، التأمل، الاحتجاج، الشك)، وتُحدث فعلاً معنويًّا أثناء التلفظ.

يقول الشاعر –في هذا الغرض التداولي– في قصيدته "الصدى":

"يُوشِكُ المَاءُ أَنْ يَتَخَثَّرَ فِي رِئَةِ النَّهْرِ
هَذَا التُّرَابُ يُمَزِّقُ وَجْهِي
وَهَذَا النَّخِيْلُ يَمُدُّ إِلَيَّ يَدَهْ
يُوشِكُ النَّهْرُ أَنْ يَتَقَيَّأَ أَجْوِبَةَ المَاءِ
مَنْ قَالَ إِنَّ النَّهَارَ لَهْ ضِفَّتَانِ
وَإِنَّ الرِّمَالَ لَهَا أَوْرِدَةْ"[٢].

تَبدّى في المقطع السابق صورة الشاعر الذي أوشك على الموت، لكنه في النهاية يستمد أملاً جديدًا من النخيل الذي يمد يده إليه، وكأنَّه هنا يمزق الثوابت الشعرية أو يعيد تشكيل الطبيعة. الآن، لنحلل دلالة التعبيريات الإنجازية في الأبيات السابقة:

يقول الشاعر: "يُوشِكُ المَاءُ أَنْ يَتَخَثَّرَ فِي رِئَةِ النَّهْرِ" الفعل يوشك: فعل تعبيري إنجازي يفيد القرب من وقوع شيء خطير أو غريب، وصورة الماء الذي يفترض أن يكون سائلاً منسابًا، يتخثر أي يصبح صلبًا خانقًا، فدلالة الإنجاز هنا، أنَّ الشاعر ينجز فعل قلب قوانين الطبيعة، بحيث يجعل النهر يختنق بدل أن يتنفس، وهذا تعبير عن حالة اختناق وجودية، كأنَّ العالم على وشك أن ينقلب أو يتوقف.

وفي قوله: "هَذَا التُّرَابُ يُمَزِّقُ وَجْهِي" الفعل يمزق: فعل عنيف، ينجز فعل الإيذاء والتشظي بمجرد التلفظ، ودلالة الإنجاز هنا: أنَّ الشاعر يحول التراب الذي هو رمز الأصل (الطين، الجذر) إلى عدو يمزق الذات، وكأنَّ هذا

(١) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٠، و٨٠، و١٠٤-١٠٥.

(٢) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٧٥.

إنجاز تعبيري لرفض الانتماء للواقع/الأصل الذي صار مؤلما.

وأما قوله: "وَهَذَا النَّخِيْلُ يَمُدُّ إِلَيَّ يَدَهْ" الفعل يمد: فعل يوحي بفعل التواصل والدعوة، وينجز بناء علاقة جديدة مع الرمز النخيل، فدلالة الإنجاز هنا: أنَّ النخيل رمز الأصالة والخصب في الثقافة العربية، يعطي صفة إنسانية (يمد اليد)، وكأنه ينقذه من حياته وحالته المتشظية، فهو ينجز التعبيريات بفعل استدعاء الطمأنينة وسط الخراب، فالنخيل حليف الأرض.

وفي قوله: "يُوشِكُ النَّهْرُ أَنْ يَتَقَيَّأَ أَجْوِبَةَ المَاءِ" الفعل يوشك مرة أخرى: فعل يقارب الإنجاز، يهيئ القارئ لحدث خطير، ويتقيأ: فعل عنيف، إنجازي بامتياز؛ لأنَّه يصور النهر في لحظة رفض لما يحمله من ماء، ودلالة الإنجازي التعبيري هنا، أنَّ الشاعر ينجز تفكيكًا للصورة التقليدية، فالنهر لا يعطي الحياة، بل يتقيأها، وكأن العالم فقد معناه، والنهر الذي كان رمز العطاء صار رمز القيء والرفض.

وفي قوله: (مَنْ قَالَ إِنَّ النَّهَارَ لَهْ ضِفَّتَانِ، وَإِنَّ الرِّمَالَ لَهَا أَوْرِدَةْ" الفعل من قال: هذا استفهام إنكاري، فعل إنجازي؛ لأنَّه ينجز فعل التشكيك ورفض المقولات الجاهزة، ودلالة الإنجاز التعبيري هنا: أنَّ الشاعر ينجز فعل إعادة تشكيل المفاهيم، فالنهار لا يُحد بحدود (ضفتان)، والرمال التي هي ميتة، لا تملك حياة (أوردة)، أي أنَّ الشاعر يكسر الصور التقليدية ويعيد العالم إلى حالته العبثية.

وخلاصة دلالة التعبيريات الإنجازية: الأفعال في هذا النص ليست فقط لوصف حالة، بل تنجز فعليًّا عمليات كبرى: قلب قوانين الطبيعة، تمزيق الذات، استدعاء رموز الأمل، تفكيك المفاهيم الثابتة، وكأنَّ الشاعر يمارس عبر هذه الأفعال فعل الثورة على العالم المألوف، ويدخل القارئ في تجربة وجودية حيث الأشياء قد فقدت استقرارها، وتحولت الطبيعة إلى كائنات حية متمردة.

ويقول في قصيدته "الأجنة":

"مَاذَا عَنْ مَوَاعِيدِ البُكَاءِ المُرِّ
واللَّعِبِ الخُرَافِيِّ المُبَاحْ؟
مَاذَا عَنِ الأَعْرَاسِ؟
مَاذَا عَنْ دَمِ اليَاقُوتِ؟
والكُتُبِ المُشَاعَةْ؟
هَلْ أَوْرَقَتْ جُثَثُ العَنَاكِبِ تَحتَ أَجْنِحَةِ النِّسَاءْ؟
هَلْ أَزْهَرَ الجُرْحُ القَدِيْمُ عَلَى مَصَابِيحِ الشِّتَاءْ؟"[1]

يمثل هذا المقطع ذروة استعمال الشاعر للتعبيريات الإنجازية التي لا تنقل موقفًا فقط، بل تنجز فعلاً شعريًّا يهز يقين القارئ. لنحلل دلالة هذه التعبيريات الإنجازية واحدة واحدة:

١- "**مَاذَا عَنْ مَوَاعِيدِ البُكَاءِ المُرِّ، واللَّعِبِ الخُرَافِيِّ المُبَاحْ**"؟ ماذا عن: تعبير إنجازي من نوع الاستفهام التشكيكي، يُنجز فعل استدعاء الأسئلة الكبرى، ودلالة الإنجاز هنا: أنَّ الشاعر لا يسأل ليحصل على جواب، بل يُنجز فعل التشكيك في قيمة هذه المواعيد، فالبكاء صار مرًّا علقمًا، وكأنه عادة مفروضة، واللعب، الذي يفترض أن يكون بريئًا، صار خرافيًّا، ومباحًا أي: مفرَّغًا من معناه.

فالشاعر ينجز هنا فعل فضح الزيف في تفاصيل الحياة اليومية.

٢- **مَاذَا عَنِ الأَعْرَاسِ؟ مَاذَا عَنْ دَمِ اليَاقُوتِ؟ والكُتُبِ المُشَاعَةْ؟** تكرار "ماذا عن" هو تعبير إنجازي يُصْعِّد التشكيك، ويُنجز فعل تعرية الرموز. الأعراس، الياقوت،

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٩٣.

الكتب: كلها رموز للفرح، ودلالة الإنجاز هنا: بتكرار الاستفهام، فالشاعر يُنجز فعل إفراغ هذه الرموز من قيمتها، فالأفراح لم تعد تجلب الفرح، والياقوت فَقد بريقه وجماله، والكتب بدل من أن تكون مقدسة صارت مشاعة مباحة مبتذلة، فالشاعر هنا يُنجِز فعل الثورة على المفاهيم الجاهزة والمعلبة.

٣- **هَلْ أَوْرَقَتْ جُثَثُ العَنَاكِبِ تَحتَ أَجْنِحَةِ النِّسَاءْ؟** هل أورقت: تعبير إنجازي يُنجز فعل السخرية المرة، إذ يُركّب الشاعر صورة عبثية، فالجثث لا تورق، والعناكب ترمز للموت والكمون والخيانة والوهن، بينما النساء رمز للخصب والحياة، ودلالة الإنجاز هنا: أنَّ الشاعر ينجز فعل قلب المعادلات، الموت (جثث العناكب) يُفترض أن يُبعث (يُورق)، والحياة (أجنحة النساء) تصبح مستقرًا للموت، فالشاعر يُعبِّر عن عالم معكوس مقلوب، حيث الحياة والموت تداخلتا بشكل عبثي.

٤- "**هَلْ أَزْهَرَ الجُرْحُ القَدِيْمُ عَلَى مَصَابِيح الشِّتَاء؟** هل أزهر الجرح؟: تعبير إنجازي يُنجز فعل قلب الصورة المألوفة، فالجرح يفترض أن ينزف، لا أن يزهر، والشتاء رمز للجمود والموت، لا للازدهار، ودلالة الإنجاز التعبيري هنا: أنَّ الشاعر يُنجز فعل تحويل الألم إلى زهر، ولكن على أرض قاسية (مصابيح الشتاء)، هذه الصورة تجسّد أملاً مشوهًا؛ كأنَّ الألم صار بذرة الجمال، ولكن في بيئة غير مناسبة.

الشاعر عبر هذه الأفعال، يُنجز أمام القارئ: فعل التشكيك في كل قيم المجتمع (البكاء، اللعب، الأعراس، الياقوت، الكتب)، ويُنجز فعل قلب المفاهيم (الجثث تورق، الجرح يُزهر، الأعراس بلا فرح)، ويُنجز فعل تفكيك الصورة الكلاسيكية للعالم؛ ليظهره كعالم مريض، عبثي، معكوس.

فالخلاصة: أنَّ التعبيريات الإنجازية هنا ليست مجرد استفهامات شعرية، بل هي أدوات نقدية ثائرة، تُنجز فعليًّا هدم الموروث الثقافي (الفرح، القيم، الطقوس). وتُنجز إعادة تركيب العالم بشكل قلق.

كما تتجلى صورة الحزن والألم على الأيام الخوالي السابقة التي كانت تمارس فيها الذات كل أصناف اللعب الخرافي الممزوج بسعادة المباح، ويعبر الشاعر مجازيًّا عن صورة الحزن المسكون في قلبه بجثث العناكب التي ماتت تحت أجنحة النساء، ويعبر عن عمق الجراح القديمة التي أظلمت في مصابيح الشتاء.. أسئلة بوح نفسي عاشه الشاعر.

ويقول في القصيدة نفسها:

"سَنَحَتْ طُيُورُ النَّارِ
فَانْتَهَزُوا الوِلَادَةْ
سَنَحَتْ طُيُورُ المَاءِ
فَانْتَهِزُوا الوِلَادَة
وَتَمَاثَلُوا لِلاحِتِلَامِ، تَمَاثَلُوا لِلهَاجِسِ اللَّيْلِيّ
يَا أَرْضُ اِبْلَعِي تَعبَ العُرَاةْ
هَذَا كِتَابُ الرَّمْلِ وَالشَّيْطَانُ مَصْلُوبٌ
عَلَى بَابِ البَنَاتْ
وَعَلَى مَسَافَاتِ الرَّدَى بَدْوٌ وَحَانَاتٌ
وَأَرْصِفَةٌ تَموجْ"[١]

هذا المقطع يرفع من مستوى التوتر الشعري، ويُكثّف الطابع الإنجازي للأفعال حتى يصبح النص كله فعلاً تعبيريًّا إنجازيًّا بوحيًّا يُعيد تركيب العالم بطريقة أسطوري، مقلوبة، محمَّلة بالرموز الثقيلة، فالشاعر يبدأ هذا المقطع

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٩٤.

بقوله: "سـنحت": هذا فعل إنجازي من نوح الإناحة، أي: يُنجز لحظة فتح لحظة نادرة، والطيور هنا ليسـت طيورًا عادية، بل هي رموز السـلام، والنار: رمز للقوة، والفناء، والتطهير، والماء: رمز للحياة، والخصوبة، والنقاء، ودلالة الإنجاز التعبيري هنا: أنَّ الشـاعر يُنجز خلق لحظة مفصلية، حيث تتلاقى قوى التدمير (النار) وقوى الخصب (الماء)، هذه اللحظة تُنجز شـرط الولادة الجديدة، وكأنَّ العالم يُدعى هنا ليعاد إنجابه، لكن من رماد النار، وماء الولادة.

كما يتمثل الغرض الإنجازي للبوحيات أو التعبيريات من خلال التعبير عن الموقف النفسي، تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصـنف -كما ذكرنا – اتجاه المطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، فالبوحيات تمثِّل فعلاً كلاميًّا يستخدمه الشاعر رغبة في البوح والفضفضة الذاتية، والحديث النفسي، كما يعتمد – أيضًا – على الحوار المنولوجي الداخلي.

يقول الشاعر في قصيدة الفرس:

"يأبى دَمِي أَنْ يَسْتَرِيحَ
تَشُدُّهُ اِمْرَأَةٌ وَرِيحْ
فَرَسٌ تُنَاصِبُنِي غِوَايَاتُ الرِّمَالِ
كَسَرَتْ حُدُودَ القَيْظِ.. وَاتَّجَهَتْ شِمَالْ
أَرْقَيْتُ عِفَّتَهَا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ
قَبَّلْتُهَا..
فَاهْتَزَّ عَرْشُ الرَّمْلِ وَانْتَثَرَتْ قَوَارِيرُ
السَّحَابْ
أَسْرَجْتُهَا بِالحُلْمِ والشَّهَوَاتِ
وَالصَّبْرِ الجَمِيْلِ
عَانَقْتُهَا..
فَامْتَدَّ صَدْرِي سَاحِلاً مُرًّا
تَنُوءُ بِهِ تَوَارِيْخُ النَّخِيْلْ
نَاجَيْتُهَا:
صَدِئَتْ لَيَالِيكِ القَدِيْمَةِ فَاحْرِقِي خَبَثَ
النُّحَاسِ
وَأَشْرِعِي زَمَنَ الصَّهِيلْ"(١).

يعد هذا المقطع نموذجًا للتعبيريات الإنجازيّة التي لا تكتفي بوصف الانفعالات، بل تُنجز أفعالاً شعرية تَحدث داخل النص، وتعيد تشـكيل العالم من حول الشـاعر والمتلقي معًا. وهنا تحليل دلالي يؤكد ما ذهبت إليه: الفعل (يأبى): هو تعبير إنجازي يُنجز رفضًـا وجوديًّا، و(الدم) هنا لا يمثل الحياة البيولوجيّة، بل الهوية، والثورة، والتمرد. الفعل (تشـده): يُنجز فعل التجاذب القوي بين قوتين: المرأة والريح، يُنجز فعل تمزيق الذات بين الرغبة (المرأة)، والانطلاق (الريح)، ممَّا يُصـعد التوتر الداخلي في النص. والفعل: (تناصـبني) هو تعبير إنجازي يُنجز فعل العداء والمقاومة، والفرس رمز القوة، والرمال رمز التيه والانغماس، فالشـاعر يُنجز هنا فعل المجابهة مع الغواية. والفعل (كسـرت): فعل إنجازي يُنجز فعل التمرد على الطبيعة (القيظ = الحر)، و(اتجهت شمال): الشمال في الرمزية يعني البرد، الصـفاء، وربما النقاء، والشـاعر هنا يُنجز فعل التحول الجذري من قلب الصـحراء الحارقة إلى عالم جديد. والفعل (أرقيت): فعل إنجازي يُنجز فعل التطهير والقداسـة، عبر رقية قرآنية (فاتحة الكتاب)، والفعل (قبلتها): يُنجز فعل الاندماج الجسدي، هذا يكسر الحدود التقليدية بين الطهر والجسد. والفعل (اهتزَّ): يُنجز فعل الزلزال الشعري، والفعل (انتثرت): يُنجز فعل التفكيك

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٧٦-٧٨.

والانفجار، وكأنَّ الشاعر يُنجز تحولاً كونيًّا. والفعل (أسرجتها): فعل إنجازي يُنجز فعل تهيئة الفرس نحو القوة والانطلاق، فالشاعر هنا يُنجز توليف الطاقات: الحلم (الخيال)، الشهوات (الغريزة)، الصبر الجميل (الإرادة). والفعل (عانقتها): يُنجز فعل الاندماج الكامل نتيجة الفعل (امتدَّ صدري) (ساحلاً مرًّا) ليس جنة، بل شاطئ من المرارة. والفعل (ناجيتها): يُنجز فعل البوح الحميمي، والفعل (صدئت): يُنجز فعل الإقرار بالتحلل والفساد، والفعل (احرقي): فعل أمر يُنجز التطهير بالنار، والفعل (أشرعي): يُنجز فعل فتح أفق جديد (زمن الصهيل = زمن القوة والانطلاق).

الشاعر الثبيتي في هذه القصيدة يعتمد على استخدام أفعال كلامية تعبيرية غرضها الإنجازي البوح عمَّا يشعر به ويؤلمه، معبرًا عن أحزانه المتتابعة التي لا تنتهي، فهو يستخدم الأفعال الكلامية المباشرة تعبيرًا عن حالته النفسية المتأزمة كالإحساس بالغربة والفقد.

المطلب الخامس: الإعلانيات (الإيقاعيات) (Declarativs):

يقول الشاعر في قصيدة البشير:

"وَالزَّمَنَ المُتَحَجِّرَ فِيهِ
رَأَى بَلَدًا مِنْ ضَبَابٍ
وَصَحْرَاءَ طَاعِنَةً في السَّرابْ
رَأَى زَمَنًا أَحْمَرًا
وَرَأَى مُدُنًا مَزَّقَ الطَّلْقُ أَحْشَاءَهَا
وَتَقَيَّحَ تَحْتَ أَظَافِرِهَا المَاءُ
حَتَّى أَنَاخَ لَهَا النَّخْلُ أَعْنَاقَهُ
فَأَطَالَ بِهَا.... وَاِسْتَطَالَ
وَأَفْرَغَ مِنْهَا صَدِيْدَ الرِّمَالْ"[1]

تبدو الأفعال الكلامية ذات الطبيعة الإعلانية/ الإعلانيات = الإيقاعيات، ذات أثر لافت في ديوان تضاريس، حيث يطلق عليها محمود نحلة الإيقاعيَّات لانسجامها مع طبيعة الاستعمال اللغوي في اللغة العربية: (وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنًا للفظة الوجود، فأنت توقع بالقول فعلاً، وينبغي أَنْ تتسعَ لتشمل أفعال البيع، والشراء، والهبة، والوصية، والوقف، والإجارة، والإبراء من الدين، والتنازل عن الحق، والزواج، والطلاق، والإقرار، والدعوى، والإنكار، والقذف، والوكالة، حيث يشترط في الأفعال الكلامية القصد إلى تحقيق المعلن عنه، سواء أكان صريحًا أم ضمنيًّا)[2].

وأَمَّا السمة المميزة لهذه الأفعال الإعلانية/ الإيقاعية، فإنَّها (تتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وتُحدث تغييرًا في الوضع القائم واتجاه المطابقة فيها الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات)[3]، وقد وردت الإعلانيات في ديوان تضاريس في مواضع متفرقة، ومنها القصيدة السابقة، فالشاعر استخدم الأفعال الإعلانية التالية: (رأى بلدًا وصحراء طاعنة، رأى مدنًا، تتقيح تحت أظفارها الماء، أناخ النخل أعناقه، أطال، واستطال، أفرغ منها)؛ لينجز إعلان عن رؤية مشوهة للواقع، هنا إيقاع تراكمي (تكرار "رأى") يرسخ صورة الدم والتمزق والفساد. وإعلان عن انقلاب القيم، حيث يتحول الماء إلى قيح، والنخل ينحني، وإيقاع من التضخم والتفاقم (أطال، واستطال) يصعد التوتر الشعري، وإعلان لنهاية كارثية (أفرغ منها صديد الرمال).

ويقول في القصيدة السابقة البشير:

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٩١-٩٢.

(٢) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٩٨-٩٩.

(٣) كنون، أحمد حسن، التداولية بين النظرية والتطبيق، ص٨٣.

"في عُرُوقِ العَذَارَى
أَنَا آخِرُ المَوْتِ
أَوَّلُ طِفْلٍ تَسَوَّرَ قَامَتَهُ
فَرَأَى فَلَكَ التِّيْهِ"(١)

تبدو صـورة الفعل الكلامي الإيقاعي المباشـر من خلال قولـه: (أنـا آخر الموت)، فعل إعلاني واضـــح، يحمل صـيغة هوية مطلقة، فالشـاعر يعلن عن ذاته كأنها ختام للموت، وفي قوله: (أول طفل تسـور قامته) "أول" إعلان عن البداية والريادة، والفعل (تســوّر): فعل إيقاعي قوي يُنجز فعل التمرد والتجاوز، والقفز فوق الحواجز والعلو، طفل يتمرد على قيده، فالفعل يُحدث إيقاعًا من الصـعود، ويوحي بحركة داخلية نحو التغيير. وفي قوله: (فرأى فلك التيه): فعل إعلاني يُنجز إعلان الرؤية، لكن ما يراه ليس هدى، بل فلك الضـــياع. الخلاصـــة: الأفعال التي اسـتخدمها الشـاعر تُنجز: إعلان هوية مزدوجة، وإيقاع صعود وتمرد، وإعلان خيبة الرؤية، وهكذا تتحول الأفعال إلى أدوات إنجاز وجودي داخل النص.

وديوان الشـــاعر مليء بالأفعال الكلامية المتنوعة لكني أكتفي بهذه النماذج المختارة، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في تطبيق هذه الأنواع من الأفعال الكلامية على نصوص من هذا الديوان "تضاريس" الذي تحار فيه من قوة سبكه، وروعة مبانيه، وجودة معانيه، على الرغم مما يكتنفه من رمزية مغرقة، وأفســح المجال للباحثين والدارســين من اللسـانيين العرب أن يطبقوا عددًا من النظريات اللسـانية الحديثة على هذا الديوان الممتع في موضوعات شعره.

ويقول في قصيدة "**آياتٌ لِامْرأةٍ لا تَنْتهي**"(٢):

تتسـم هذه القصـيدة بسـلسـلة من الأفعال الإخبارية التي تتخذ طابعاً إعلانيًا أو إنجازيًّا رمزيًّا، حيث يقوم الشـــاعر بأفعال اســـتجابة لانطفاء المرأة، وهي أفعال ذات بعد وجودي وفلسفي.

يقول الشاعر:

"حينَ تَنْطَفِئُ امْرأةٌ فِي السَّرابْ".
"أَمتطِي صهوةَ الرملِ"

يأتي هذا الفعل كاستجابة مباشرة لعبارة "حينَ تَنْطَفِئُ امْرأةٌ فِي السَّـرابْ"، فالغرض المباشـر، إخبار بفعل الامتطاء (فعل تقريري تمثيلي). أمَّا الغرض غير المباشر، فإنَّ هذا الإخبار يتجاوز مجرد نقل معلومة إلى إعلان عن موقف وتحدٍ. امتطاء صـهوة الرمل يرمز إلى مواجهة الصـحراء (الرمز للمجهول، القسوة، أو الفراغ) بعد فقدان المرأة (رمز النور أو الحياة). هناك استلزام بأن الشـاعر لا يستسـلم للفقد بـل يبـدأ رحلـة أو مواجهـة، والفعـل التقريري هنـا يكتسـب قوة إنجازية إضـافية من خلال السياق، فهو ليس مجرد وصـــف بل هو بداية لفعل أكبر، وهو مواجهة العذاب والفقد. ويقول في القصيدة نفسها: "**أَشْهرُ أجنحتي للعذابْ**" يتبع الفعل السـابق مباشـرة، مكملاً صـورة المواجهـة، وهو إخبـار بفعـل إشـــهـار الأجنحـة (فعـل تقريري/تمثيلي)، الغرض منه إعلان عن الاسـتعداد التام لمواجهة العذاب وتقبله. "إشـــهار الأجنحة" قد يرمز إلى التحليق فوق الألم أو مواجهته بشجاعة، وهو فعل يتضمن تحديّاً وقبولاً للمصير. فالفعل هنا يتضمن قوة تعبيرية عن حالة نفســية (الاســتعداد، التحدي). يقول الثبيتي في القصـــيدة نفســـها: "**أَمُدُّ لها كَفَناً في المدى وأعَبِّدها بالترابْ**" أفعال تصف طقوسًا يقوم بها الشاعر تجاه المرأة المنطفئة، وهو إخبار بفعل مد الكفن والتعميد بالتراب (أفعال تقريرية تمثيلية)، وهذه الأفعال تتجاوز الإخبار لتدخل في نطاق الأفعال الإعلانية الرمزية. فمد الكفن

(١) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص٩١.

(٢) الثبيتي، محمد، الأعمال الكاملة "ديوان تضاريس"، ص١١٧-

وتعميدها بالتراب ليسا مجرد وصف لدفن، بل هما إعلان عن نهاية مرحلة وتكريس لهذه النهاية، والشاعر هنا يقوم بدور يشبه دور الكاهن الذي يؤدي طقسًا له تبعات رمزية. هناك إضفاء لحالة جديدة على المرأة (الموت المقدس أو المكرس).

الخاتمة ونتائج البحث

جاءت الخاتمة لترصد النتائج العلمية التي توصل إليها البحث، وهي كالآتي:

- إنَّ لشعر محمد الثبيتي قوتين إنجازيتين تواكبان المحتوى القضوي، حيث تنجز فعل السؤال المدلول عليه حرفيًّا بواسطة قرائن بنيوية، مثل: لفظ الاستفهام (كيف)، و(لماذا)، و(هل)، وهو لا يقصد بها إنجاز فعل السؤال، وإنَّما أنجز بها فعل الإنكار والتعجب الذي يمثل لنا فعلاً لغويًّا غير مباشر، وهذا ما أشار إليه سيرل حيث نعتبر أن مثل هذه الجمل تنجز فعلين لغويين: أحدهما مباشر نستدل عليه من المعنى الحرفي للملفوظ، والآخر غير مباشر يفهم من سياق الكلام، ويمكن الانتقال من أولهما إلى ثانيهما عبر سلسلة من الاستدلالات.
- كشف البحث عن دور الفعل الكلامي بأنواعه التداولية المختلفة في عملية التأثير والإقناع في ديوان تضاريس للشاعر السعودي محمد الثبيتي من النماذج المختارة.
- توصل البحث إلى أَنَّ دلالة الأفعال الطلبية الأمرية في ديوان "تضاريس" يُحفّز القارئ على رؤية العالم من منظور جديد، وبعد زمني طويل، وكأنها تفتح بابًا للانتقال من الواقع المادي إلى العالم الرمزي الأسطوري.
- إنَّ الأفعال الكلامية الإلزامية في ديوان "تضاريس" تهدف إلى إحداث تأثير وجداني عميق على القارئ، ممَّا يُحدث حالة من القلق والاضطراب النفسي.
- الأفعال الكلامية الإنجازية التعبيرية في ديوان "تضاريس" تُعبّر عن بوح الشاعر عمَّا يشعر به ويؤلمه، كما تُعبّر عن أحزانه وحالته النفسيّة المتأزّمة من خلال شعوره بالغربة والفقد.
- كشف البحث عن أنَّ السمة المميزة للأفعال الإعلانيّة الإيقاعيّة في ديوان "تضاريس" تدور حول فعل التمرد والتجاوز، وتوحي بحركة داخلية نحو التغيير.
- كشف البحث عن أنَّ لكل فعل كلامي غرضًا إنجازيًّا يفهم من سياق الكلام في المدونة الشعرية، حيث تحقق الغرض الإنجازي من خلال الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة.
- كشف البحث عن انفتاح النص الشعري عند الشاعر الثبيتي على أفعال كلامية متنوعة من خلال استخدامه لأفعال كلامية بارزة في المدونة. مثل: أفعال تتعلق بالبوحيات، والتعبيريات، والالتزاميات، والتوجيهيات، والإعلانيات أو الإيقاعيات.
- خروج أغلب أفعال الكلام في ديوان تضاريس للثبيتي عن المعنى الحقيقي إلى معانٍ أخرى مجازية عبر الرمز الذي اتكأ عليه الشاعر.
- إنَّ القوة الإنجازية الضمنية (الرمزية) أكثر من القوة الإنجازية المباشرة في المدونة الشعرية لدى الثبيتي، وذلك راجع إلى ثقة المرسل في الكفاءة التداولية للمتلقي، وفي كفاءة الفهم والتأويل.

المراجع:

المراجع العربية:

أوستين، جون .*نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام؟* .ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١.

بلاشيه، فيليب .التداولية من أوستين إلى غوفمان .ترجمة صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧.

بلعابد، عبد الحق .عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص .الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.

بليث، هنريش .البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيمائي لتحليل النص .ترجمة وتعليق محمد العمري، منشورات سال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩.

الثبيتي، محمد .الأعمال الكاملة: ديوان تضاريس .نادي أدبي حائل، المملكة العربية السعودية؛ منشورات الاختلاف، الجزائر؛ مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

جاكبسون، رومان .قضايا الشعرية .ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨.

دايك، فان .علم النص .ترجمة سعيد بحيري، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط١، ٢٠٠١.

رشيد، وقاص. "عتبات النص وعتبات الرؤيا: مقاربة تأويلية أنطلوجية في شعر محمد الثبيتي ديوان تضاريس نموذجًا ".مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، مج. ١١، ع. ٢، ٢٠٢٢.

روبول، آن، وجاك موشلار .التداولية: علم جديد في التواصل .ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

سعيد، علي أحمد (أدونيس) .فاتحة لنهايات القرن: بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة .دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

سيرل، جون .العقل والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي . ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٦.

الشهري، عبد الهادي .استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية .دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

شودار، سامية. "تداولية الفعل الكلامي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي ".مجلة كلية الآداب واللغات، الجزائر، ع. ١٦، ٢٠١٤.

صحراوي، مسعود .التداولية عند العرب .دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

الطامي، أحمد صالح .المصطلح والتناص والعتبات: قراءات نقدية .مؤسسة الانتشار العربي، الشارقة، ط١، ٢٠٢٣.

الطبطبائي، طالب سيد .نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب . مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٩٤.

كنون، أحمد حسن .التداولية بين النظرية والتطبيق .دار النابغة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥.

منير، انتصار عبد العزيز. "تضاريس محمد الثبيتي: دراسة سيميائية ".حوليات آداب جامعة عين شمس، القاهرة، مج. ٤٨، كانون الثاني – آذار، ٢٠٢٠.

موشلر، جاك، وآن ريبول .القاموس الموسوعي للتداولية . ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز

الدين المجدوب، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط١، ٢٠١٠.

نحلة، محمود .آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر . دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

يول، جورج .التداولية .ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠.